

المسجد الأموي بدمشق (٨٨ - ٩٦ هـ) (٧٠٧ - ٧١٤ م)

يعتبر المسجد الأموي بدمشق من أهم العماائر التي تنسب الى الأمويين، فقد شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عامي (٨٨-٩٦ هـ) ويقوم هذا المسجد فوق بقعة مقدسة أصلها معبد ، ثم أقام عليها المسيحيون كنيسة القديس ، وعلى أنقاضها شيد هذا المسجد . والمسجد الأموي مستطيل التخطيط وله ثلاثة مداخل محورية كما توجد في أركانه أربعة أبراج، تعتبر المآذن الأولى في الاسلام ، ولا تزال احداها باقية وهي الموجودة في الركن الجنوبي العربي للمسجد .

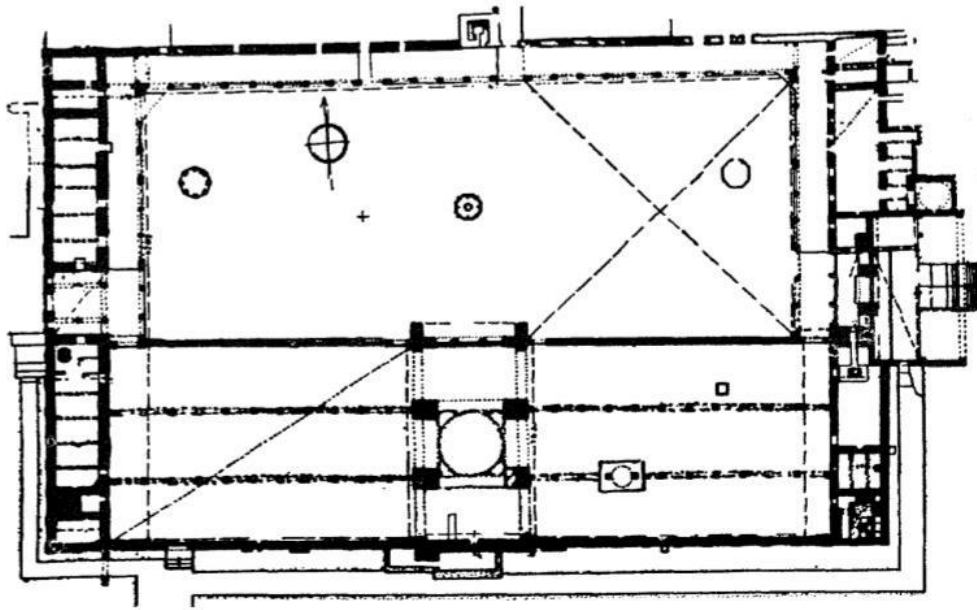
ويتوسط المسجد صحن مكشوف مستطيل التخطيط تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذي يتكون من ثلاث بلاطات مغطاة بثلاثة جمالونات تجرى موازية لحائط القبلة - ويحمل السقف بئكات محمولة على أعمدة رخامية ومكونة من صفين من العقود . وهناك بلاطة معترضة تتجه من الصحن الى محراب المسجد عموديا على حائط القبلة وتعرف بالمجاز وسقفها أعلى من باقي سقف رواق القبلة وهي مغطاة بجمالون تتوسطه قبة حجرية أضيفت الى المسجد في عصر متأخر . وتحيط بالصحن أروقة أخرى تحملها عقود محمولة على دعائم وأعمدة ونظامها : عمودان ليرسما دعامة بالتبادل . وقد سقطت بعض هذه الأعمدة واستبدلت بدعائم . ويعلو العقود التي تحيط بالصحن صف من النوافذ موضوعة بحيث تقام كل نافذتين منها فوق كل عقد من العقود السفلية ..

وقد كان المسجد في وقت من الأوقات مفروشا بالرخام وكانت جدرانه مغطاة بلوحات من الرخام أيضا الى ارتفاع قامة الانسان - وفوق هذه اللوحات توجد زخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة ولا يزال جزء كبير منها باقيا في الرواق الغربي - وفي المسجد بضع نوافذ من الرخام بها أقدم نماذج من الزخارف الهندسية في الإسلام ويظهر فيها تأثير الفن الاغريقي الروماني .

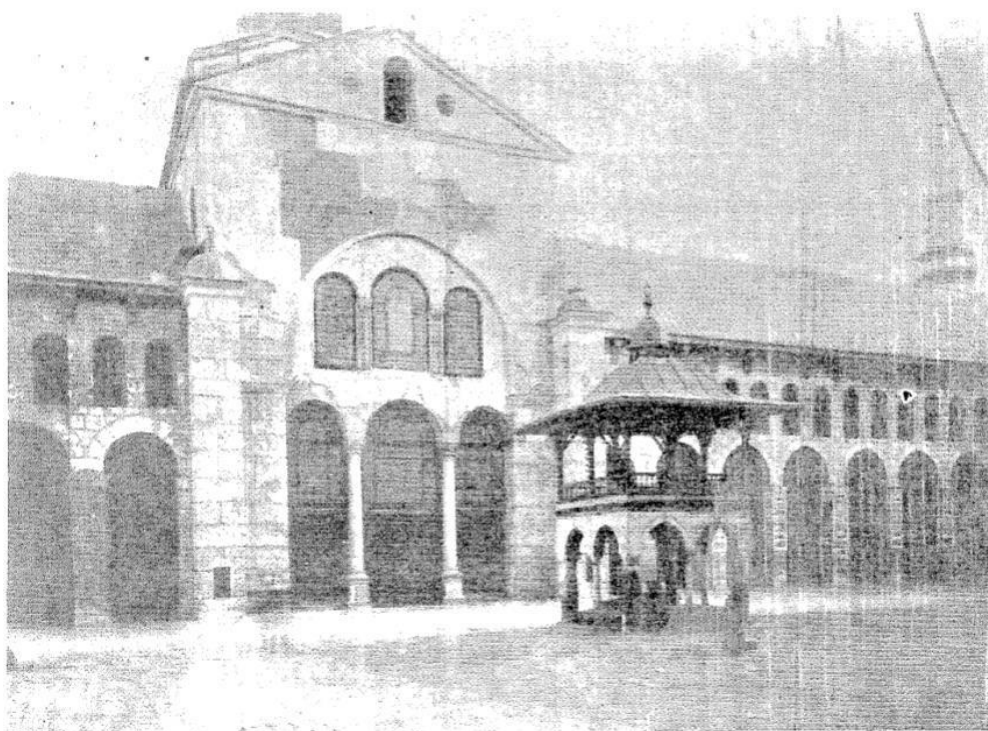
ومما يؤسف له أن النيران دمرت أجزاء كثيرة من الفسيفساء الموجودة بالمسجد الأموي وذلك في نهاية القرن الحادي عشر وفي بداية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن التاسع عشر ولم تترك الا جزءا بسيطا من هذه الفسيفساء . وقد أتيح للأستاذ دي لورى مدير المعهد الفرنسي في دمشق الكشف عن أجزاء كبيرة من هذه الفسيفساء وذلك في سنة ١٩٢٧ - وأهم ما كشف عنه تلك الأجزاء المعروفة الآن ومنها جزء ينسب الى نهر بردى في دمشق - وفي هذا الجزء يرى رسم نهر على ضفته أشجار ونباتات وبيوت بعضها كبير مكون من طابقين أو أكثر كما يرى على النهر قنطرة -

والى جانب ذلك توجد هناك زخارف من الفسيفساء تمثل فروعاً نباتية من الأكنثس لا تختلف كثيراً عن التي في قبة الصخرة ولكنها دونها في دقة الصناعة .

وقليل من الفسيفساء الموجودة في الجامع الأموي تنسب إلى عصر الوليد بن عبد الملك بينما الآخر يرجع إلى عهد الإصلاح الذي قام به السلطان ملك شاه السلجوقي في نهاية القرن الحادي عشر أو إلى إصلاحات متأخرة عن ذلك . ويرجح أن الفنانين الذين قاموا بصناعة الفسيفساء في عهد الوليد كانوا فنانين سوريين وربما عاونهم فنانون آخرون كانوا مساعدين لهم ولم يقوموا بالدور المهم . وتعتبر الأبراج الأربعة الموجودة في أركان المسجد ، المآذن الأولى في الإسلام وكان لها أكبر الأثر في تصميم المآذن التي شوهدت بعد ذلك في أغلب المساجد في شمال إفريقيا والاندلس ، كما كان لتصميم المسجد الأموي أكبر الأثر في تصميم مسجد قرطبة الكبير وغيره من مساجد بلاد المغرب .



(شكل ١٧)
التخطيط الأفقي للمسجد الأموي بدمشق
(عن كريزول)



(شكل ١٨)
المسجد الأموي بدمشق - منظر من وسط الصحن
(عن كريزول)